# رقم غريب!

مروى يعقوب

ها أنا من جديد، أزيح الأرق على سطر الورق. اِلتقفني السهاد ليلة كاملة، فاستأصل كل شيء عدا القلق. رقم غريب! وظيفة أو تدريب، يا لحظي! وابتسم لي مستقبلي. تواترت الأفكار واحدة تلو الأخرى، حتى كادت بعضها أن تتزامن! هل أقبل السعد اتجاهي أم أن لي حظا أتى في حينه؟ لا أطيق انفلاق سماء المساء.. متى يستعجل الصبح، و يرنو القمر للأفول؟

أخذت ألوم نفسي؛ لمَ تركتُ هاتفي بعيدا عني ذاك الوقت؟ كنت سأجيب على المكالمة في حينها، ولَكنتُ أزحت عن نفسي رمادية الأفكار، وتكاثر الشكوك بشأن ذاك الرقم. الصبر الصبر على الانتظار، سأصل إلى اليقين عندما يعاودون الاتصال بي، وإن لم يعاودوا الاتصال.. سأتصل بهم أنا.

تمر ساعات الانتظار كالسنين بطيئة، ثم تصبح بعد انقضائها شريطا مر سريعا لا نتذكر معظمه، وكأنما مرّك عامٌ في دقيقة. رن هاتفي مجددا، فقلت في نفسي سيُزاح توتري، وستتبدد ضبابية فكري ورمادية شكوكي. سألني المتصل: ليلى! سريعا أجبته بالنفي، ثم عاود سؤاله ليطرح الشك مما سمعه: ليلى العجمي؟ أجبت سلبا، محبطة: لا.. لست ليلى! هنا كانت لنفسي خيبة لا تُحكى، ماذا لو كنتُ ليلى؟

لست ليلى، و لا صلة لي بها.. و لم يكن ذلك سوى أول سراب أمطرني تفاؤلا حينها، ثم نفض الشك و أشبعني بقسوة اليقين الذي لم أكن أريده! أسبغ عليّ هذا الموقف بتجربة قصيرة علمتني أن الأشياء الجميلة حقا تحتاج إلى الجَلَد، ومُحالٌ أن نستلذ بالجمال ما لمْ نَشْرَق بدخان الإخفاق ولو مرة واحدة. إنه لخزي كبير أن نخضع سريعا وننحني فشلا.

كل عثرة خبرة، وكل خيبة عِبرة، وكل عَبرة قوة. بقدر ثقتنا باِلله وبحسب ظننا به سنحصد جمالا أو سوءا؛ فالله أرشدنا لذلك بوضوح في الحديث القدسي حينما قال: «أنا عند ظن عبدي بي». لِمَ أحزن على موقف أبهجني للحظات؟ حتى وإن لم تمنحنا الأشياء سعادة أبدية فلا يجب أن ننسى أنها جعلتنا نبتسم حينا من الوقت، ويجب أن نمتن لها.

ربما نُحبط، وإنه لمن الذكاء أن يُتبع الإحباط بالإنجاز. واثقة تماما بأنني لو لا هذا الاتصال لما عدت للكتابة في وقتي هذا. فمنذ أن أنهيت المكالمة والكلمات تنسج بعضها في فكري، فأصبحت أُتمتم ببعض من كلماتي المنمقة وأرددها لأُمني نفسي بالأمل، فقلتُ: دعوني أثرثر باِسم الأمل، كلاما جميلا يُزيح الوجل. شتات سحيق يصيب مقلتي، وحزن عميق بقلبي لم يزل. دعوني أتمتم دون انقطاع، فحلمي غريق والفكر في ضياع.. سأرنو إليك يا حلم من جديد، وستنال يداك العلو المجيد.. فقط فلننتظر! ثم توالت الأفكار على ذهني ، فكتبت ما تقرأون، وإنني على يقين بأنه لو لا ذاك الاتصال لما كتبت مقالا واحدا هذا الأسبوع. إذن فكل هفوة بمشاعرنا إنما هي خير يُساق لأجلنا فالحمدلله دائما وفي كل حال.

التجارب تسوق بعضها، والدروس تأتينا تباعا لها. لن نبتأس ما دمنا لا نزال على بعد خطوات مجهول كمُّها عن ذاك المكان المسمى مقبرةً. اِغتنم ألم الجوع لتطهو لنفسك مائدة فيها كل مَا تشتهيه نفسك، واجعل لكل يوم قيمة حتى وإن لم تجد فيه ما يسرك، فلتكتفِ بإسعاد أحدهم حتى وإن كان عابرا. وأحسَن الظن بالخالق فهو الرازق بيده كل الخير لك، وما بعد الصبر إلا الفرج.





# وصفة حسابية للسعادة

عبدالرزّاق الربيعي

”السعادة «تجربة روحانية لقضاء كلّ دقيقة مع الحب، والنعمة، والعفو، والامتنان..“

شغل سؤال السعادة الكثير من المفكّرين، والفلاسفة، والأدباء، ولكنّني أجد فهمي للسعادة متطابقا مع تعريف الكاتب الأمريكي دينيس وايتلي حين نظر للسعادة كونها «تجربة روحانية لقضاء كلّ دقيقة مع الحب، والنعمة، والعفو، والامتنان، وهي أيضا الشعور بالرضا، وطمأنينة النفس، وتحقيق الذات، وشعور بالبهجة والاستمتاع واللذة، وباختلاف أحوال الناس وأوضاعهم وأفكارهم»، وهذا الفهم قريب من فهم الحطيئة، الشاعر المخضرم، للسعادة حين قال:

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ
وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ
وَتَقوى اللَهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً
وَعِندَ اللَهِ لِلأَتقى مَزيدُ
وَما لا بُدَّ أَن يَأَتي قَرَيبٌ
وَلَكِنَّ الَّذي يَمضي بَعيدُ

غير أن العلماء حاولوا دسّ أصابعهم في جيب السَعادة ليقبضوا على سرّ مخبوء من أسرارها، فاهتدى عدد من الباحثين إلى وضع معادلة رياضيّة تمكّنهم من قياس درجة السعادة، ووجدوا إن المشاركين يكونون أكثر سعادة عندما يؤدون عملهم بصورة أفضل من المتوقع، هذه النتيجة يمكن أيضا أن تساعد الحكومة البريطانية على تحليل الاحصاءات المتعلقة بالرفاهية، والتي تجمعها منذ عام ٢٠١٠ ،هذه نشروها في مجلة PNAS فحقّقوا انجازا «في ضوء صعوبة التنبؤ بمشاعر البشر» كما قال الباحث توم ستافورد الذي يعمل بجامعة شيفلد مشككا بقدرتها على الإجابة عن «الأسئلة الكبرى» المتعلقة بالسعادة في حياتنا الحقيقية، مثل اختيار شريك العمر على سبيل المثال المعادلة لكنّ هناك معادلة أخرى عالجت موضوع «السعادة الزوجيّة»، فعالم الرياضيّات البروفيسور جيمس موري الذي يعمل بجامعة واشنطن أعلن أنّ بإمكانه التنبؤ بدقّة تامّة تقريبا، بما إذا كان المتزوّجان حديثا سيحظيان بزواج سعيد، أم لا، وذلك باستخدام معادلتين في الجبر! وذلك بعد دراسة له دامت عشرة أعوام شملت ٧٠٠ زوج وزوجة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وهو متفائل جدّا، وواثق من نجاح معادلته، إذ يقدّر النسبة بحدود ٩٤٪!

والواضح أنّه كلّما زادت المعادلات توصّل العلماء إلى نتائج أكثر، ولكن هل يمكن أن تتحوّل المشاعر الإنسانيّة، والميول، والرغبات إلى أرقام، وجداول، وحسابات رياضيّة؟

بالتأكيد سيكون الجواب بالنفي، فإذا كان الحبّ، كما يرى بعض العلماء، هو نتيجة تفاعلات كيمياويّة، إيجابيّة في دماغي كلّ من العاشق، والمعشوقة، فإنّ العلاقة الزوجيّة تخضع لمقاييس أخرى يدخل فيها التفاهم المشترك، والتواصل الروحي، والنفسي، والعقلي، والاجتماعي.

إنّ النقاط الإيجابيّة التي يمنحها هذا العالم الأمريكي للابتسامات، والإيحاءات الودّيّة لا يمكن أن تكون دقيقة، فالكثير من الابتسامات التي يتبادلها الأزواج أمام الضيوف زائفة، والكثير من الأحاديث الوديّة يختبئ خلفها النفاق الاجتماعي، وإذا كان قد أعطى نقاطا سلبيّة لبرود المشاعر، كقياس واقعي لفشل العلاقات الزوجيّة، فنحن الشرقيّين نتحرّج من اظهار مشاعرنا لزوجاتنا نتيجة للتربية الاجتماعية المحافظة، كما هو الحال أمام والدينا، وإخواننا، فهذا الكبت، يفسّره العالم الأمريكي بأنّه برود مشاعر! وهذا قياس خاطئ من أساسه لو طبّق في مجتمعنا.

والمعروف أنّ أيّ زواج مهما بني على التفاهم بين الرجل، والمرأة، قبل الزواج، من الصعب تحديد نسبة نجاحه بعده، والدليل أن الكثير من العلاقات الزوجيّة التي نشأت بعد علاقة حب كان مصيرها الفشل! بينما نجح العديد من التجارب الزوجيّة التي ارتبطت على الطريقة التقليديّة، وهذا يعني عدم وجود مقياس، فكلّ الأمور نسبيّة، ومن هنا فالتنبؤ بنتائج أيّ زواج لا يعدو أن يكون أكثر من ادعاءات فارغة.

إنّ العلاقات الزوجيّة من الأمور المعقّدة في حياتنا المعاصرة، فهي تحتاج إلى أرضيّة مشتركة من الحوار، والتفاهم، والانسجام، ومن الصعب الحكم على السعادة الزوجيّة من خارج محيطها الأسري، فالكثير من العلاقات الزوجيّة تبدو للناظر إنّها سعيدة، لكنّها في الواقع ليست كذلك، لذا فإنّ أيّ مقياس لها من خارجها لا يناسبها، ولا يمكن أن يعطي نتائج صحيحة، فكيف يكون الحال مع حسابات رياضيّة جافّة؟

وبهذا فقد تكون النتائج التي توصّل إليها هذا العالم الأمريكي ناجحة في اطار مجتمع يجري لاهثا وراء المادة ، لكنّ الأمر ليس كذلك في الشرق، أرض الروحانيّات ،والشموس المشرقة، والعادات ،والتقاليد الاجتماعية الصارمة ،فلا يمكن أن تخضع علاقاتنا الزوجيّة إلى مثل هذه المعادلات ،فمعاييرنا مختلفة وكذلك قيمنا ، فالأمر يصبح معقّدا ، فرغم اختلاف أمزجة المتزوّجين ،هذا الاختلاف الذي يسفر عن أزمات عابرة، لا يكاد يخلو منها أيّ منزل، لكنّنا في النهاية نعيش منسجمين، ولو قاس هذا العالم سعادتنا بالأزمات لحكم علينا بالشقاء !!